

محاضرات فقه اللغة – المرحلة الرابعة

الأستاذ الدكتور صالح هادي القريشي 2025 - 2026

المحاضرة 2/ ج 1

جهود علماء العربية في دراسة فقه اللغة العربية

حين نطلق كلمة فقه اللغة في جامعاتنا اليوم لا يتبادر الى الذهن سوى (فقه اللغة العربية) وهذا المصطلح ظهر في عالمنا العربي اليوم في الجامعات المصرية – وإن كان مستعملا عند العرب الأوائل- ظهر على يد جماعة من المستشرقين الذين جاؤوا للتدريس في مصر في بدايات القرن العشرين. فإذا أردنا معرفة جهود علماء العربية السالفين في دراسة فقه اللغة ينبغي لنا معرفة موضوعات فقه اللغة التي ندرسها تحت هذا العنوان؛ ليمكننا البحث عنها والكشف بعد النظر في مؤلفات علمائنا الأوائل المختلفة. وموضوعات فقه اللغة هي : دراسة نشأة اللغة الإنسانية لمعرفة نشأة اللغة العربية ثم لهجاتها ثم الفصحى، ويدرس أصوات اللغة ودلالة ألفاظها وبنائها ودراسة العلاقات النحوية بين مفرداتها وخصائص العربية من اعراب واشتقاق وترادف ومشترك لفظي وتضاد وموضوعات أخرى....

فكيف تجلت جهود علمائنا الأوائل في تناول موضوعات فقه اللغة؟ نرى أن الإجابة عن هذا السؤال تنحصر في ضربين من التأليف:

الأول: الجهود التي تنضوي تحت دراسة فقه اللغة لكنها لا تحمل هذا المصطلح، وهي نوعان:

1- مباحث فقه لغوية متفرقة في مؤلفات العربية المختلفة، ممزوجة مع المادة اللغوية.

2- رسائل لغوية متخصصة في موضوع واحد من موضوعات فقه اللغة

الآخر: الجهود التي تنضوي تحت دراسة فقه اللغة وتحمل هذا المصطلح، أو تحمل مصطلحا مرادفا له.

فالضرب الأول، النوع الأول: حين نظرنا في المؤلفات القديمة المختلفة، النحوية والصرفية والمعجمية وجدنا فيها مباحث من فقه اللغة ، من ذلك

(معجم العين للخليل الفراهيدي 170هـ) عثرنا فيه على فكرة مهمة من أفكار فقه اللغة، وهي تقليب الجذور اللغوية واستحصال الكلمات المستعملة وإحصاؤها، والأخرى أن الخليل كان يذكر الكلمات المستعملة في اللغة ويذكر معناها، والكلمات المهملة غير المستعملة، أي فكرة (المستعمل والمهمل) من الألفاظ.

وفي كتب النحو يطالعنا (كتاب سيبويه ت180هـ) وفيه دراسات متعلقة بالصوت العربي ومخارجه وصفاته وعدد حروف العربية وتقسيماتها ودلالة الأبنية والأقيسة الفعلية، وفيه الى جانب القضايا النحوية أبحاث صرفية خاصة بالعربية. هذه كلها مباحث في فقه اللغة العربية.

وفي كتاب (التصريف للمازني ت249هـ) والمازني أول من فصل النحو عن الصرف، نجد مباحث في فقه اللغة منها غريب الأبنية ومعانيها وتآلف الأصوات والتغيرات التي تطرأ عليها عند تنافرهما.

وجاء ابن جني ت392هـ وشرح كتاب المازني بعنوان (المنصف في شرح التصريف) وضمّن هذا الشرح موضوعات من فقه اللغة مثل الإشارة الى أصول نطق الكلمة العربية، وتعليله الحاجة الى همزة الوصل في أوائل الاسماء والافعال تخلصا من النطق بالساكن، فبعض اللغات تنطق بعض الكلمات مبدوءة بساكن مثل كلمة (كُرفس بالفارسية) وكلمة (street بالانجليزية بالسكون على السين).

وفي كتاب (أدب الكاتب لابن قتيبة ت276هـ) ويقع في أربعة أجزاء هي:

- كتاب المعرفة: وفيه مفردات مختلفة ذات موضوعات متفقة، وكأنه باب من أبواب الترادف.
- كتاب اليد: وفيه موضوعات لغوية ونحوية عامة.
- كتاب اللسان: أي تقويم اللسان وهو قائم على حركة التصحيح اللغوي والتنبيه على الأخطاء واللعن.
- كتاب الأبنية: ويذكر فيه أبنية الأفعال والأسماء ومعانيها، وختمه بأبنية المصادر. وضمّن الكتاب الأخير شيئا كثيرا من خصائص أبنية الكلم العربية وموازينها ومعانيها المختلفة . وهذه من موضوعات فقه اللغة وخصائص العربية وسننّها فضلا عما ذكره من موضوع دلالات الألفاظ في كتاب المعرفة.

في كتاب (معجم مقاييس اللغة لابن فارس ت395هـ) هو معجم كباقي المعجمات ولكنه تضمن فكرتين من أفكار فقه اللغة، هما فكرة الأصول الدلالية، وفكرة النحت اللغوي. فالأصول الدلالية حين يتناول المادة اللغوية الواحدة ويذكر تقلباتها والمستعمل منها يقول إن هذا الجذر اللغوي يقع تحت أصل دلالي أو أصليين أو ثلاثة. مثال ذلك: قال في مادة (ظفر) ((الظاء والفاء والراء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على القهر والفوز والغلبة -يقصد ظَفَرَ-، والآخر يدل على القوة في الشيء -يقصد ظُفِرَ الإنسان-)). أما فكرة النحت اللغوي فخلاصتها أن ابن فارس جمع من الكلمات ما زاد على ثلاثة أحرف ، أي الرباعي والخماسي وفسرها على أنها كلمات منحوتة من كلمتين مثل قوله في كلمة (بَحْتَر) أي القصير ((بُحْتَر وهو القصير المجتمع الخلق، فهذا منحوت من كلمتين: الباء والتاء والراء وهو من بترته فُبْتَر، كأنه حُرِمَ الطول فُبْتَر خَلَقه. والكلمة الثانية: الحاء والتاء والراء وهو من حترت واحترت... يقال أحتَر على نفسه وعياله أي ضيق عليهم، فقد صار هذا المعنى في القصير)). أي كأنه ضاق عليه الطول.

وفي كتاب (المخصص لابن سيده 458هـ) وهو من معجمات الموضوعات والمعاني نجد من مباحث فقه اللغة مثل: الترادف والمشارك اللفظي والتعريب والاشتقاق والتذكير والتأنيث والمقصور والممدود، وفيه مسائل في أصوات العربية.